(01) بهجة المحافل بمُنْية السائل في التعرّف عن سريّة ذات السلاسل

2025-11-28

الحمد لله الذي أكرمنا بسيرة من خَتمت رسالتُه كل الرسائل، وجعل الاِقتداء به ﷺ منبع المكارم والفضائل، ووقاية من المفاسد والرذائل، نحمده تعالى ونشكره أن أسبغ علينا نعمه، وأفاض لدينا مننه، وأنزل إلينا كتابه الذي فصّل آياته فأحكمه وأتقنه، وجعلنا من أتباع شرعه فعلّمنا فروضه وسننه، وخصّنا بإرسال أكرم الخلق عليه. وأزكاهم لديه، ﷺ، فشرح صدره. ووضع وزره. ورفع ذكره، وجعل خير القرون قَرْنَه الذي به قَرَنَه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل المجاهدين في الدنيا والآخرة من الأفاضل، وأركس الملحدين في النار مقرّنين في الأصفاد والسلاسل، وأهلك المفسدين في الدنيا بالأعاصير والزلازل، وأشهدُ أنَّ سيّدَنا محمّداً عبدُه ورسولُه، وصفيّه من خلقه وخليله.

الله شرّف أحمدًا خيرَ الورى * وأناله مُلْكا لديه كبيرًا

جُمِعَت له أعلامُ كلِّ فضيلةٍ * فغدا على الرُّسْل الكرام أميرًا

وشَقّ القلوبَ هدايةً وعنايةً * وطهارةً ومحبّة وسرورًا

صلّوا عليه وأكثروا مِن ذِكْره * لا تَسْئَموا الترجيع والتكثيرًا

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدنا محمد. أجمل مَنْ طابت بذِكره المجالس والمحافل. وعلى آله المنتَخَبِين من أشرف القبائل. وصحابته ليوث الوغى والسادة الأماثل. صلاة تطهّرنا بها من القبائح والرذائل. وتحلّينا بها بأشرف الخصال وأكمل الفضائل. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. دعونا اليوم نرجع بكم إلى السيرة النبوية العطرة، نستكشف أسرارها، نصلح مشاكل مجتمعنا بفقهها، نحارب بالوقوف على أحداثها جهلنا بها، نستمد لمواجهة أعدائنا الشجاعة

منها، فهي منبع سيّال لا ينضب معينها، ومدرسة عظيمة تنوّعت أبحاثها وشُعَبها، لا يشبع منها الباحث مهما غاص في بحارها، ولا يملّ منها الدارس مهما سار في فِجاجها. فتعالوا بنا أيها الأحباب اليوم، لنسلّط الأضواء الكاشفة على هذا الشهر، الذي نحن فيه، ألا وهو شهر جمادى الثانية، وهو الشهر السادس من الشهور الهجرية الإسلامية، لنستخرج منه حدثًا مهمًّا من أحداث السيرة النبوية الشريفة، ألا وهو: سرية ذات السلاسل، التي وقعت في مثل هذا الشهر من السنة الثامنة من الهجرة. والتي كانت عقب وقعة مُؤْتة، لقد اخترنا لكم اليوم هذا الحدث المرتبط بهذا الشهر، حتى نعلم أوّلاً أنّنا في شهر جمادى الثانية، وقد نسي الكثير منّا هذه الشهور تمامًا، وحتى نتعلّم ثانيًّا من السيرة العطرة ما نعطِّر به أخلاقنا ومعاملاتنا، أيّها المسلمون. المعركة التي اشترك فيها رسول الله ﷺ، تُسمّى عند علماء السيرة النبوية بالغزوة، وإذا لم يشترك فيها فتسمّى بالسرية؛ ومن ذلك سرية ذات السلاسل، والتي بسطت هيبة الدولة الإسلامية في شمال الجزيرة العربية، وكسّرت عصا التمرّد التي طالما أشهرتها بعض القبائل العربيّة الموالية للروم، وكانت أيضاً سبباً في إسلام الكثير من أهالي بني مرّة، وبني ذبيان، ودخول غيرهما في حِلْفٍ مع المسلمين، ومضمون الأحداث فيها ما يلي: أيّها المسلمون. لَمْ تَمْضِ سِوَى أَيَّامٍ عَلَى عَوْدَةِ الجَيْشِ مِنْ مُؤْتَةَ إِلَى المَدِينَةِ المنورة، حتى بلغ رسول الله ﷺ أن بعض القبائل العربية، المتنكِّرة لهويّتها العربية، الموالية لدولة الروم الصليبية، بدأت تعدّ العُدّة لمهاجمة المدينة، إرضاءً لأسيادهم في دولة الروم، تمامًا كما يَفعل بعض العرب اليوم، في ضَرْب المجاهدين في الإسلام، إرضاءً لأسيادهم الصهاينة، وأحفاد الروم في الغرب، وخصوصًا المجاهدين ضد الصهاينة، وكأنّ التاريخ يُعيد نفسه. ومن عادة النبي ﷺ أنه لا يَترك أيَّ أزمة حتى يستفحل أمْرها؛ بل يضربها في جذورها، ويستأصل شوْكتها، قبل أن يستعصي حَلّها، فاختار ﷺ لمواجهة هؤلاء الأعداء، ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، وجعل قائدهم سيّدنا عَمْرِو بْنِ

العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، الذي لم يمض على إسلامه سوى أربعة أشهر، أيّها المسلمون. أتدرون مَن هو عمرو بن العاص؟ إنه الجندي المِقدام، إنه القائد المُحنَّك، إنه الملقَّب بداهية العرب، إنه الذي فتح مصر بدهائه، إنه الذي ساعد معاوية على إقامة دولة الأمويّين بذكائه، إنه الذي يُختار للمسائل الكبرى، وللمهمّات الصعبة، أسلم رضي الله عنه في شهر صفر من العام الثامن للهجرة، لقد اختاره النبي ﷺ ليدعو هذه القبائل المتمرّدة إلى الإسلام، لأنّ أخواله من هذه القبائل، لعلّهم إذا ما رأوا أحدَ أبناء بناتهم قائدًا يدعوهم إلى الإسلام أن يستجيبوا، لَعَمري إنها لدبلوماسية نبوية رفيعة، قد جرى العمل بها اليوم في القضايا الكبرى، حيث تختار كل دولة لأيَّةِ قضية أقرب الناس إليها، وأعرف الناس بها، فكان ﷺ سبّاقًا إلى ذلك، ثم قال له ﷺ وهو يعيّنه قائدا: ((إني أريد أن تصيب لنفسك مالا))؛ لأنه ﷺ يعلم أنّ عَمْرًا قد هاجر إلى المدينة لله ورسوله، تاركا في مكة ثروته وأمواله، وهو ﷺ الرحمة المهداة، ففي مسند الإمام أحمد عن سيّدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: ((بعث إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ وَسِلَاحَكَ، ثُمَّ ائْتِنِي، قال عمرو: فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَصَعَّدَ فِيَّ النَّظَرَ، ثُمَّ طَأْطَأَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ، فَيُسَلِّمَكَ اللَّهُ وَيُغْنِمَكَ، وَأَرْغَبُ لَكَ مِنْ الْمَالِ رَغْبَةً صَالِحَةً. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَسْلَمْتُ مِنْ أَجْلِ الْمَالِ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَأَنْ أَكُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا عَمْرُو نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ)). إنّ هذا الموقف يدلّ على قوّة إيمان وصِدْق وإخلاص سيّدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه للإسلام. بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد شهد له بالصلاح، وبأنّه من الصالحين. وقال فيه أيضا: ((أسلم الناس وآمن عمرو)). أيّها المسلمون. يعلّمنا النبي ﷺ أنّ الدنيا لابدّ منها لإقامة الدين، وأنّ التديّن لا يعني ترْك الدنيا أبدًا؛ بل أيُّ عملٍ يقوم به المسلم في نطاق الحلال، يعتبره الشرع عبادة، حتى الاِتّصال بالزوجة في الحلال، وقد قال ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم: ((وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ

صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلاَلِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ))، ولا رهبانية في الإسلام، ولكن المال لا يكون صالحا إلا بشروط أربعة: أن يكتسبه من الحلال، أن ينفقه في الحلال، أن يؤدّي منه واجباته من الزكاة والنفقة، وألا يصدّه ماله عن ذِكر الله وعن الصلاة وغير ذلك من الواجبات، والرجل الصالح هو المسلم الذي يعلم أنّ في ماله حقًّا للمساكين فيساعدهم، هو الجواد الكريم، البعيد عن الأنانية والشَّرَه، والطمع وحب الذات. أيّها المسلمون. وبعد أن تسلَّم عمرو رضي الله عنه القيادة من النبي ﷺ، خرج حتى وصل إلى قرية في أطراف الشام تسمّى بذات السلاسل، ولهذا سُمّيت هذه السرية بهذا الاِسم، فعَلِم أنّ تلك القبائل قد جمعت لمواجهتهم جموعا لا قِبَلَ لهم بها، فأرسل إلى النبي ﷺ يطلب منه المدد، فزوّده النبي ﷺ بمائتين من المهاجرين والأنصار، فيهم أبو بكر وعمر، فاختار لهم ﷺ أبا عبيدة بن الجراح قائدا، وأمره ﷺ أن لا يختلف مع القائد الأوّل عمرو بن العاص؛ لأنه ﷺ يعلم مدى خطورة الاِختلاف، حين يشتّت شَمْل قادة الأمّة، والأمّة المسلمة اليوم ما تعاني إلاّ من اختلاف قادتها، فباختلافهم ضاعت القدس في متاهات التهويد، وباختلافهم اِلْتُهِمَتْ المستوْطَنات المدنَّسة، أرض القدس المقدَّسة، وحين اختلف قادة الأمّة قُدِّمت القدس في المعارض الصهيونية، على أنها العاصمة الأبدية للصهاينة، وما كان هذا ليحدث لو اتّحد قادة الأمّة فكانوا يدًا واحدة على أعدائها، وقد سُئل أحد العلماء: لماذا انتصرت إسرائيل بجيش واحد سنة سبع وستين على العرب وهم عِدّة جيوش؟ فأجاب بكل بساطة: لأنّ لإسرائيل جيشًا واحدًا وللعرب عِدّة جيوش! إِيْ واللهِ لازالت الصهاينة تحقّق الانتصارات بجيشٍ قائده واحد، وقوّته متّحدة، على العرب وقادتهم شتّى، وقوّاتهم مبعثرة، فإلى الله المشتكى والمفزَع! أيّها المسلمون. فلمّا وصل المدد إلى سيّدنا عمرو بن العاص، قال لأبي عبيدة بن الجرّاح: يجب أن تُسلِّم لي القيادة؛ لأنّ النبي ﷺ إنما بعثك مددًا، ولم يبعثك قائدًا،

فماذا فعل أبو عبيدة؟ إنه تنازل لعمرو فورًا دون مناقشة ولا تردّد، فقال له: دونك إذن فَصَلِّ بالناس؛ لأنّ النبي ﷺ أمرهما بعدم الاِختلاف، فلو أنّ الأمّة المسلمة اليوم استطاع قادتها، أن يتنازلوا عن المناصب لمن يستحقّها، لو استطاعوا أن يتنازلوا عن المناصب لمن يكون أهلا لها، لو استطاعوا أن يؤثروا على أنانيّتهم وِحْدة الأمّة المسلمة، لشقّت الأمّة طريقها إلى النصر على أعدائها، ولكن مشكل الأمّة المسلمة اليوم، أن كل هَمّ قادتها الكراسي، فإذا حصل عليه فلتذهب وِحْدة الأمّة بعد ذلك إلى الجحيم. أيّها المسلمون. ثم قاد سيّدنا عمرو الجيش الموحَّد، فدوّخ به أعداء الإسلام هناك، فأدّى مهمّته كاملة، فلم يكن أكثر من ساعة حتى تفرّق الأعداء منهزمين، فجمع الجيش غنائمهم، وأرادوا اتّباعَ أثرهم فمنعهم قائدهم سيّدنا عمرو بن العاص، وفي هذه السرية ظهرت عبقريّة سيّدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه. وحِكمته وخِبرته العسكرية. من خلال بعض المواقف في أكثر من مرّة. ففي إحدى الليالي أراد الجيش أن يوقد نارًا بغرض التدفئة من برودة الجوّ ليلاً، فطلبوا ذلك من سيّدنا عمرو بن العاص. إلا أنّه رفض ولم يُجِبْهُمْ إلى طلبهم، فذهب الصحابة إلى سيّدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ليتوسّط لهم عند الأمير في إيقاد النار، وحين ذهب إليه الصدّيق يكلّمه في ذلك، قال له سيّدنا عمرو بن العاص في منتهى الحزم: لا يوقد أحدٌ منهم نارًا إلاّ قذفته فيها. فغضب سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه. إلاّ أنّ سيِّدَنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه أخبره أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستعمله إلاّ لعلمه بالحرب. أيْ أنّه أعلم بحكمته وبقدرته على إدارة الجيش، ونحن نسمع ونطيع. ثم رجعوا إلى المدينة المنوّرة سالمين غانمين، وبينما هم في الطريق احتلمْ سيِّدَنا عمرو بنَ العاص في ليلة باردة، فأصبح وعليه جنابة، فرأى بثاقب فِكره أنه إذا اغتسل سيؤدّي به ذلك إلى المرض، فتذكّر قوله تعالى في سورة النساء: {وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيماً}، ثم تيمّم وصلّى بالناس، ثم أمر بالسير. فاختلف معه الصحابة واستنكروا عليه ذلك، ولمّا

وصل الجيش إلى المدينة المنوّرة. قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن أنباء سفرهم كما هي عادته، فأخبروه بما نقموه من قائدهم عمرو بن العاص. من نهيهم عن إيقاد النار، ونهيهم عن اتّباع العدوّ، وصلاته جُنُباً، فسأله النبيّ عليه الصلاة والسلام عن ذلك، فقال: منعتهم من إيقاد النار لئلاّ يرى العدوّ قلّتهم فيطمع فيهم، ونهيتهم عن اتّباع العدوّ لئلاّ يكون له كمين، وصلّيتُ جُنُباً لأنّ الله يقول: ((وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)). وإنْ أنا اغتسلتُ هلكتُ، فتبسّم عليه الصلاة والسلام وأثنى على عمرو خيراً. إقرارٌ وقَبُولٌ لذلك الإجتهاد الذي اجتهده سيّدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه. ومع ما حقّقته هذه المعركة من أهداف على الصعيد الميداني، فقد أسهمتْ كذلك في إبراز سيّدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه كشخصيّة فذّة، وقيادة حكيمة، كان لها دورها في الفتوحات الإسلامية بعد ذلك. أيّها المسلمون. فإقرار النبي ﷺ هذا الاِجتهاد من عمرو وتصويبه له، كان ذلك فتحًا لباب الاِجتهاد في الإسلام، لكن لمن يملك مؤهّلات الاِجتهاد، ولولا الاِجتهاد لَمَا استطاع الإسلام أن يساير تطوّرات العصور والدهور، لَمَا استطاع أن يكون صالحًا لكل زمان ومكان، ورحم الله عمر بن عبد العزيز إذ قال: ((تحدث للناس أقضية بقدْر ما أحدثوا من الفجور))، ومن هذا نتعلّم أيضا أنّ القائد في الدنيا عند السلف الصالح، هو الذي يكون القائد في الدين، هو الذي يصلّي بالناس إمامًا؛ إذ لا فصْل عندهم بين الدين والدولة، وعلى هذا الأساس اختاروا أبا بكر خليفة بعد رسول الله ﷺ؛ لأنه ﷺ كان قد اختاره إمامًا للصلاة، في مرضه الذي توفي فيه ﷺ، ولهذا قال الصحابة: ((رضيه رسول الله ﷺ لديننا، أفلا نرضاه لدنيانا؟))، فبايعوه خليفة للمسلمين. رضي الله عنه. أيّها المسلمون. من هذه السرية (سرية ذات السلاسل) نتعلّم الفوائد التالية: نتعلّم أنّ النبي ﷺ يختار لكل مهمّة أقرب الناس إليها وأعرفهم بها، وهذه فائدة دبلوماسية. نتعلّم أنّ المبادَرة لردّ العدوان أمرٌ واجبٌ قبل فوات الأوان، فقد كان ﷺ يهاجِم عدوّه قبل أن يهاجَم، وهذه فائدة عسكرية. نتعلّم أنّ دنيا المال لابدّ منها لإقامة

الدين؛ فالدنيا بدون الدين طغيان، والدين بدون الدنيا رهبانية الرهبان، وهذه فائدة إقتصادية. نتعلّم أنّ الإِختلاف في الأحكام الشرعية أمرٌ فيه منافع للناس، ولكن الإِختلاف في الحُكم والسلطة أمرٌ فيه بأس شديد، وهذه فائدة إجتماعية. نتعلّم أنّ التيمّم كما ينوب عن الوضوء ينوب عن الغُسل، فمَن كان مريضا لا يستطيع الغُسل وكانت عليه جنابة يجوز له أن يتيمّم بمسح الوجه واليدين ثم يصلّي، فإذا برئ اغتسل وهذه فائدة فقهية. نتعلّم أنّ القائد في الدنيا هو الذي يكون القائد في الدين أيضا، ولا فصْل بين الدين والدولة، وهذه فائدة سياسية. فرضي الله تعالى عن سيّدنا عمرو بن العاص. وعن كافّة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. اللهم ارزقنا حبّ الجميع. وأمدّنا من إمدادهم الفائض الوسيع. واجعلنا من أحبابهم. وأتباعهم وأحزابهم. وأن تشرح بحبّهم صدورنا. وتيسّر بجاههم أمورنا. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ.